هدية الإخوان

تأليف

السيد عمر ابن العلامة السيد أحمد
ابن العلامة السيد أبي بكر بن عبد الله
بن سميط العلوي الحضرمي

بشرح

عقيدة الإيمان

تأليف

العلامة السيد أبي بكر بن عبد الله بن سميط
العلوي الحضرمي

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ترجمة المؤلفين

ترجمة الماتن:

لم نطلع مع كثرة الفحص على ترجمة لصاحب عقيدة الإيمان، بيد أنه رحمه الله تعالى هو العلامة السيد أبو بكر بن عبد الله بن شُمَيط العلوي الحضرمي، هكذ أفادنا السيد محمد بن السيد زين من أحفاده، قدس الله أسرارهم أجمعين.

ترجمة الشارح:

هو الإمام الحبر المكين مثل التقوى والعلم والإخبات وعنوان السراة والكمال والثبات صاحب الأيادي البيضاء في الكرم والإصلاح والإرشاد ناشر الدعوة المحمدية والطريقة السلفية في أكناف البلاد بلسانه وقدمه وكرمه منذ نشاته إلى آخر أدوار حياته: السيد الحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط.

ولد عام ١٣٠٣ هـ ببلدة أتساندا من جزر القمر مهاجر العرب القديم في بيئة علم وصلاح.

شيوخه:

ونشأ تحت رعاية والده الجهبذ المكين أحمد بن أبي بكر بن سميط وحسن تأديبه، وبدت عليه مخايل النجابة في سن مبكر، واستصحبه والده إلى حضر موت مقر أهله ببلدة شِبام الصفراء، فتخرج على أعلام الرجال الذين جمعوا بين العلم والعمل

وفي طليعتهم الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب علي ابن محمد الحبشي والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب محمد بن طاهر الحداد وعمه الحبيب عبد الله بن طاهر بن سميط ووالده الحبيب طاهر وغيرهم من أعيان الوادي.

فانطبعت فيه سماتهم وحلت عليه نظراتهم وجَدّ بصدق الطلب في العلم والعبادة وجذبته يد العناية إلى مراتب السعادة حتى دخل في مصاف الكبار وأصبح إليه بالبنان يشار.

ثم عاد إلى زنجبار لتقر عينه برؤية والده به فاستكمل عليه وعلى الشيخ العلامة الصالح عبد الله بن محمد باكثير معارفه وعلومه ورأى أن مسقط رأسه مروني عاصمة جزائر القمر أحق أن يوافيه الجزاء وينشر فيه علم الهدى

فعاد إليه حاملا راية العلم موزعا أوقاته في دعوة أهل المدن والقرى إلى الطريقة المثلى ساعيا بقدمه في تلك التلال الخضر أياما وليالي عديدة يدعوهم على بصيرة حتى ليتعجب الناظر إذا رآهم وهم بتلك الأصقاع النازحة متسمين بسمة الصلاح معتزين بدينهم وشعاراتهم الإسلامية رغم ما يحاوله المستعمرون من إغوائهم وإفسادهم بشتى الأساليب وما ذاك إلا من فضل الدعوة الخالصة ورسوخها في الأعماق.

ورضي الله عن هذا الإمام فقد كان شديد الاهتمام بدعوة الإسلام فما من داع في تلك النواحي إلا وله معه يد حسا ومعنى وكم أسلمت على يديه من طوائف وهدى الله به من الأمة بشرا كثيرا

ولقد كان المترجم له من رجال الصلاح وأعلام الهداية ومصابيح الاهتداء الذين يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم التالي ويسير بهم الواقف ويكمل بتربيتهم الناقص وكان ممن نرى فيه سمت أسلافنا وبهجتهم والثبات على هديهم وسيرتهم فيجعلنا نشعر بأننا في عصر أكابرهم نشاهده فيه ونلتقط جواهر حكمهم من فيه ونستاف عرف الولاية من شميم سجاياه ونقرأ آية المجد من كريم محياه.

وقد جمع من صفات النبل والكمال ما جمع القلوب على محبته والألسن على الثناء عليه فكل من رآه أجله وأحبه وترى نظر رعايته وملاحظته مصاحبا شاملا لكل من تعلق به في سداد أموره ونجاح مقاصده وحسن أدبه وكان يشير أن نظراته إكسير ويقول: إن السلحفاة تربي أولادها بالنظر وذلك أمر محسوس مشاهد في مؤيداته وأحبائه بل في كل من نظر بصدق ولائه

هداة الورى طوبى لعبد رآهم ، وجالسهم لو مرة منه في العمر

بعض مؤلفاته:

وللمترجم فتاوى ومؤلفات ورسائل منها هداية الإخوان بشرح فتح الرحمن في العقيدة لجده أبي بكر وهي مطبوعة كما أن له قصائد ومنظومات شعرية رائعة وهي من السهل الممتنع لم يتيسر بعد جمعها في ديوان وقد استدار فلك السعادة إلى بلده مروني من جزائر القمر مسقط رأس شيخنا ومثوى جده أبي بكر.

فتحول إليها وأشرق نوره عليها وحسدتها القرى على محط رحاله بها واستقر بها بدرا منيرا في برج كماله يقيم الدروس ويقوم النفوس ويكرم الوفود حتى قعدت به القوى وانطرح لحكم القضاء ودعاه مولانا فلباه واستوفى أجله من هذه الحياة في تسع صفر سنة ١٣٩٧ هـ رحمه الله وأعلى درجته في عليين وأخلفه فينا بالخلف الصالح آمين.

تلامذته:

ومن الآخذين عن سيدنا الحبيب عمر من أعيان أهل عصرنا الحبيب القدوة عبد القادر بن أحمد السقاف، والحبيب أحمد مشهور بالحداد، والحبيب عطاس الحبشي، والحبيب العلامة عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد نزيل دار السلام (تنزانيا) رحمهم الله تعالى، والسيد محمد سعيد البيض والسادة آل جمل الليل السيد علي بن أحمد بدوي وإخوانه، ولهم فيه مدائح وقصائد موجودة في دواوينهم وغيرهم كثير[1].

(١) هذه الترجمة أخذت من مقدمة رحلتيه رحمه الله تعالى.

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتصف في ذاته وصفاته بكل كمال، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية ولا زوال، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم المرسلين، الذي اتضح بنور هديه معالم الدين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فلما قدر الله لي العود إلى جزيرة إنجزيجة[1] في حدود سنة ست وأربعين وثلاثمئة وألف، رأيت أكثر ما يفتتح طلاب العلم مقروءاتهم على الأشياخ في الكتابين الموسومين بإرشاد المسلمين، وبعقيدة الإيمان.

وقد شرح الأول جدي بشرح وجيز، سماه: **الترياق النافع من العمى**، فعم نفعه وانتشر في أكثر بلدان السواحل، ولذلك عنّ لي أن أشرح الثاني خدمة للعلم الشريف، ورجاء أن يكون لي ذخرا، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

والمأمول من فضل الله أن ينفع به مطالعه، وأن يثيب عليه جامعه، وسميته: **هدية الإخوان بشرح عقيدة الإيمان**. وها أنا أشرع في المقصود، بعون الملك المعبود.

---

(١) بلاد إنجزية جنوبية عرضها ١٢ درجة و ٣٥ دقيقة وطولها ٤٢ درجة و ٢٠ دقيقة وقبلتها على فرقد المغيب لا فرقد المطلع كما يقول بعض الناس وذلك في سمت ١٤ درجة و ١٠ دقائق و ٤٦ ثانية. الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ المصنف بالبسملة، ثم ثنى بالحمدلة اقتداء بالكتاب العزيز، فإنه ابتدئ بها في الترتيب، وأما في الإنزال فقد ابتدئ بقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[1]، وعملا بخبر: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم» وفي رواية: « بالحمد لله فهو أبتر» وفي رواية: «فهو أجذم» وفي رواية: «فهو أقطع» والمعنى على كل: إنه ناقص البركة.

قوله: ذي بال يعني ذي شأن، والأمور ذات الشأن كلبس الثياب والأكل والشرب، وأما سفاسف الأمور كالكنس وغيره من الأمور الخسيسة فلا تطلب البسملة عليها، بل الأولى تركها تعظيما لاسمه تعالى. قوله: أبتر إلخ أي كالأبتر حذف منه أداة التشبيه.

والكلام على البسملة شهير، فلا حاجة إلى الإطالة، وإنما نذكر شيئا من ذلك على سبيل التبرك، فنقول:

الاسم ما دل على المسمى، ولفظ الجلالة علم على ذاته تعالى، والرحمن والرحيم صفتان لله مأخوذتان من الرحمة، وهي رقة في القلب تقتضي التفضل والإحسان، فهما في حق الله بمعنى المحسن، أو مريد الإحسان، ولا يجوز إطلاق الرحمة على الله بمعناها الأصلي الذي هو رقة في القلب.

(١) سورة العلق: ٩٦/١

الحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمينَ، والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ،

(الحمد لله) الحمد لغة: الثناء باللسان على الجميل، فقولهم: باللسان مخرج لما كان بغير اللسان، وهو الحمد الاصطلاحي كالقيام لمن أنعم عليك فإنه ثناء بغير اللسان. وقولهم: على الجميل مخرج للثناء لا على الجميل كمدائح الشعراء للفسقة على نحو شرب خمر أو قتل نفس لأنه ليس على الفعل الجميل فيهم.

ثم إن هنا أبحاثا تتعلق بأل التي في الحمد هل هي للاستغراق أو للجنس أو للعهد، وتتعلق بأركان الحمد وتقسيمه إلى قديم وحادث، تركت كل ذلك لعدم لياقة المقام له، فليطلب من المطولات. والمعنى: إن الحمد ثابت لله تعالى.

(رب العالمين) يطلق لفظ الرب على معان: منها القريب، والمحيط، والخالق، والمصلح، والمالك، والأخير هو المراد هنا أي مالك العالمين، والعالَم هو ما سوى الله سبحانه وتعالى، ويقال لكل صنف من صنوف الخلق: عالم كعالم الملائكة، وعالم الإنس، وعالم الجن، وجميع ذلك عالمون وعوالم.

(والعاقبة للمتقين) العاقبة هي آخر كل شيء، والمراد بها العاقبة الحسنة المحمودة التي هي دخول الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم. والمتقين جمع متق وهو من امتثل أمر الله واجتنب نواهيه قال الله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾[1]، ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾[2]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول: أين المتقون، فينصب للقوم لواء، فيتبعون لواءهم إلى منازلهم، فيدخلون الجنة بغير حساب»

(١) سورة مريم: ٦٣/١٩

(٢) سورة القلم: ٣٤/٦٨

والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

جعلني الله وإياك وأحبابنا منهم ورزقنا مرافقتهم، آمين. (والصلاة والسلام) أتى المصنف بالصلاة عليه ﷺ لخبر «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»، وقرنها بالسلام لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[1].

والصلاة معناها لغة: الدعاء بخير، وهو هنا طلب الرحمة المقرونة بالتعظيم من الله أي فيضانها على النبي ﷺ. والسلام الأمان والتحية والإنعام.

(على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين) قوله: على سيدنا محمد الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن الصلاة والسلام أي كائنان على سيدنا محمد، وسيد القوم رئيسهم وأكرمهم. ومحمد علم على نبينا، وسمي به بإلهام من الله لجده بذلك ليطابق اسمه صفته.

واختار المصنف ذكر محمد دون سائر أسمائه ﷺ لأنه أشهرها بين العالمين، وألذّها سماعا عند جميع المسلمين، ولوقوع تسميته به في القرآن، وتسميته بأحمد إنما وقعت في الكتب السالفة.

والنبي: إنسان أوحي إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه، وإن أمر بتبليغه فهو نبي ورسول، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا. قوله: الأمي نسبة للأم لكونه لا يقرأ الخط ولا يكتب، أو نسبة للأمة العربية لأنهم كانوا أميين، وورد: «بعثت إلى أمة أمية»، وقال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم﴾[2].

(١) سورة الأحزاب: ٥٦/٣٣

(٢) سورة الجمعة: ٢/٦٢

وَبَعْدُ: فَيَجِبُ عَلَى العَبْدِ أَنْ يَعْرِفَ الإِيمانَ وَالإِسْلاَمَ.

والمراد بكونه منهم أنه ﷺ أمي مثلهم قال الله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾[1]. ووصف الأمية في حق غيره وصف نقص، أما في حقه ﷺ فوصف كمال لأنه أثبتُ لحجة نبوته ﷺ وأدلُ على صدق ما جاء به، وأدحض لشبهة الذين قالوا: ﴿إنما يعلمه بشر﴾[2] لكونه مع ذلك أظهر علم الأولين والآخرين، وقص سيرهم وأخبارهم، وإلى ذلك أشار البوصيري ﷺ بقوله:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

قوله: وآله هم أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطلب، وقد يراد بهم في مقام الصلاة كل مؤمن. قوله: وصحبه الصحب اسم جمع لصاحب، وهو كل مؤمن اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنا، ومات على الإيمان.

قوله: أجمعين جمع أجمع، وهو من ألفاظ التأكيد، تقول: جاء الناس أجمع، ومررت بالقوم أجمعين. (وبعد) كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر أي من نوع إلى نوع آخر، والنوع المنتقل منه ما جاء قبلها من البسملة والحمدلة، والمنتقل إليه هو ما بعدها.

(فيجب على العبد) والمراد به كل فرد من أفراد المكلفين ولو من الجن، (أن يعرف الإيمان والإسلام) لأن بدونهما لا تتحقق النجاة في الدار الآخرة، فالأول هو التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة،

(١) سورة العنكبوت: ٢٩/٤٨

(٢) سورة النحل: ١٦/١٠٣

والعلم الضروري هو الذي يشترك في معرفته الخاص والعام مثل العلم بالسماء أنها فوقنا والأرض تحتنا، والثاني هو اسم للتصديق الذي في القلب وترجمة عنه بناء على ترادفهما. والراجح أنهما متغايران، فالإسلام اسم للانقياد الظاهر، والإيمان اسم للانقياد الباطن، وسيأتي تفصيل كل منهما.

قوله: أن يعرف أي معرفة، فأن والفعل في تأويل مصدر، وهو فاعل يجب، والمعرفة والعلم مترادفان على معنى واحد، وهو الجزم المطابق للواقع عن دليل، فخرج بالجزم الظن والوهم والشك. وخرج بالمطابق للواقع غير المطابق كجزم النصارى بالتثليث. وخرج بما بعده التقليد الذي هو اعتقاد مضمون قول الغير وفعله وتقريره من غير معرفة دليل، فليس كل منها معرفة ولا علما.

{تنبيه}: لا خلاف بين أهل الإسلام في وجوب معرفة الله سبحانه وتعالى، ولا في وجوب النظر لأجل حصولها بقدر الطاقة البشرية، ولكن اختلفوا في أول ما يجب على المكلف؛ فقال الأشعري إمام هذا الفن: إنه المعرفة، وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: إنه النظر الموصل للمعرفة، ويعزى إلى الأشعري أيضا. وقال إمام الحرمين: إنه القصد إلى النظر أي تفريغ القلب عن الشواغل.

وحاصل الأقوال التي اختلف العلماء فيها اثنا عشر قولا، والأصح أن أول الواجبات مقصدا المعرفة، وأول واجب وسيلة قريبة النظر، ووسيلة بعيدة القصد إلى النظر. وبهذا يجمع بين الأقوال. فإذا أردت معرفة الله تعالى وهي لا تكون إلا بمعرفة صفاته لأنه سبحانه حجب الخلق عن إدراك كنه ذاته، وفي الحديث: «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار»، فطريق معرفته أن تنظر إلى

فإنْ قِيلَ لَكَ: مَا أَوَّلُ شَيْءٍ يَجِبُ عَلَى الإِنْسانِ؟ فَقُلْ: يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلاً أَنَّهُ مَخْلُوقٌ،

نفسك لأنها أقرب الأشياء إليك، ثم إلى العالم السفلي، ثم إلى العالم العلوي، أو انظر إلى العالم العلوي، ثم إلى العالم السفلي، ثم إلى نفسك، فإنك تستدل بذلك على معرفته سبحانه وتعالى.

واعلم أن النظر مشترك بين الإبصار والفكر، والمراد هنا الثاني، والمراد من النظر إلى النفس وإلى العالم هو النظر في أحوالهما فإنك إذا نظرت في أحوال النفس وما اشتملت عليه من سمع وبصر وكلام وطول وعرض ورضى وغضب وعلم وجهل ولذة وألم وغير ذلك، ونظرت إلى أحوال العوالم وما فيها كالمعادن والنبات، وفي تغيير الليل والنهار وغير ذلك تجد في جميع ذلك دليلا على حدوثها، والحدوث دليل على الافتقار إلى صانع حكيم.

قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[1] وقد أرشدك المصنف ﷺ إلى تفصيل ما أجملناه بقوله:

(**فإن قيل لك: ما**) هو (**أول شيء يجب**) ويتعين (**على الإنسان**) هو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى. (**فقل: يجب على كل مكلف**) هو البالغ العاقل (**أن يعرف أولا أنه مخلوق**) يعني يجب على الإنسان قبل كل واجب عليه معرفة

---

(١) سورة البقرة: ١٦٤/٢

وَأَنَّ لَهُ خَالِقاً رَازِقاً، وَهُوَ اللهُ الَّذي لا إله إلاَّ هُوَ، ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ الإيمانِ والإسْلامِ، لأنَّ سَعَادَةَ الدَّارَيْن لا تَكُونُ إلاَّ بِهِمَا،

كونه مخلوقا لتحصل له معرفة الله من طريق النظر والاستدلال بالمصنوع على الصانع، وبالأثر على المؤثر، وبالصور على المصور لأن من عرف نفسه عرف ربه، وهكذا جاء الحديث، أي من عرف نفسه بالحدوث والفقر والعجز عرف ربه بالقدم والغنى والقدرة، ولهذا الحديث معان، أظهرها هذا.

(و) يجب عليه أن يعرف (أن له خالقا رازقا) قادرا لا يعتريه قصور ولا عجز، (وهو الله) الواحد الأحد الفرد الصمد (الذي) لا شريك له ولا مثل له (لا إله) معبود بحق في الوجود (إلا هو) سبحانه وتعالى.

(ثم يجب عليه) أي الإنسان المكلف (معرفة) حقيقة (الإيمان والإسلام) اللذين سبق معناهما، وإنما وجب على المكلف معرفتهما (لأن سعادة الدارين) الدنيا والآخرة (لا تكون إلا بهما). والسعادة ضربان: دنيوية وهي معونة الله للعبد ومساعدته له على فعل الخير والصلاح، وأخروية وهي الموت على الإسلام ودخول الجنة، قال الله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾[1].

والشقاوة كذلك ضربان، وهي لمن قال الله فيهم: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾[2]. والأعمال إنما هي دالة على السعادة أو الشقاوة قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»،

---

(١) سورة هود: ١١/١٠٨

(٢) سورة هود: ١١/١٠٦،١٠٧

وَلاَ وُصُولَ إلى لِقَاءِ اللهِ إلاَّ بِتَعَلُّمِهما، فَمَنْ لَمْ يَعْرِف الإيمانَ وَالإسْلاَمَ لاَ يُقَالُ لَهُ: إنَّهُ مُؤْمِنٌ قَالَ فِي الأَنْوَارِ: لَوْ قِيلَ لِرَجُلٍ: مَا الإيمَانُ؟ فَقَالَ: لاَ أَدْرِي، كَانَ كَافِراً.

أما من كان من أهل السعادة فسيصير إلى أعمال أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، والعياذ بالله.

(**ولا وصول**) أي للمكلف إلى نجاته في الدار الآخرة ولا سبيل له (**إلى لقاء الله**) والنظر إلى وجهه الكريم في دار كرامته ورضوانه (**إلا بتعلمهما**) أي الإيمان والإسلام ومعرفة أحكامهما، (**فمن**) بلغ وهو عاقل سليم السمع والبصر، وبلغته الدعوة وهو (**لم يعرف الإيمان والإسلام لا يقال له: إنه مؤمن**) أي ولا مسلم.

(**قال**) الفقيه الشافعي الإمام يوسف الأردبيلي (**في**) كتابه (**الأنوار: لو قيل لرجل: ما الإيمان فقال: لا أدري كان كافرا**) لأن الإيمان هو التصديق الجازم الذي هو ربط القلب وعقده على العلم بما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة، وقول الرجل: لا أدري ينافي علمه وتصديقه بذلك، ولم ينقل الإيمان في الشرع إلى غير معنى التصديق، ولما سئل النبي ﷺ عن الإيمان، بينه بقوله: «الإيمان أن تؤمن بالله» إلخ.

فائدة: الكافر اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان وأخفى الكفر خص باسم المنافق، وإن طرأ كفره بعد الإسلام خص باسم المرتد لرجوعه عن الإسلام. وإن قال بإلهين أو أكثر خص باسم المشرك لإثباته الشريك في الألوهية.

وإن كان متدينا ببعض الأديان والكتب المنسوخة خص باسم الكتابي كاليهودي والنصراني، وإن كان يقول بقدم الدهر وإسناد الحوادث إليه خص باسم الدهري، وإن كان لا يثبت الباري تعالى خص باسم المعطل،

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا الإِيمَانُ؟

فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى،

وإن كان مع اعترافه بنبوة النبي ﷺ وإظهاره شعائر الإسلام يبطن عقائد هي كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق انتهى شرح المقاصد.

(فإن قيل لك: ما الإيمان) أي ما حقيقته، (فقل: أن تؤمن بالله)، والإيمان بالله على معنيين: إيمان بذاته، وإيمان بوحدانيته. فأما الإيمان بذاته الكريمة فهو أن تعلم أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات، كما أن صفاته لا تشبه الصفات.

وكل ما تصورتَه في ذهنك أو توهمته في وهمك، فالله تعالى بخلافه لأنك مخلوق وكل ما تصورته أو توهمته مخلوق مثلك. وأما الإيمان بوحدانيته فهو أن تعلم أنه متفرد بالملك والتدبير وأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله.

(وملائكته) جمع ملك، ومعنى الإيمان بهم: التصديق بوجودهم، وبأنهم كما وصفهم الله بقوله: ﴿عباد مكرمون﴾[1]، (وكتبه) معنى الإيمان بالكتب: التصديق بأنها كلام الله المنزل على رسله، وكل ما تضمنته فهو حق.

(ورسله) ومعنى الإيمان بهم: التصديق بما جاءوا به عن الله. (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة، ومعنى الإيمان به: التصديق بوجوده وبجميع ما اشتمل عليه.

(وبالقدر خيره وشره من الله تعالى) ومعنى الإيمان بالقدر: أن تعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره.

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١/٢٦

فَهذِهِ سِتَّةُ أُمور هِيَ أَرْكَانُ الإِيمَانِ، فَمَنْ آمَنَ بِهَا وصَدَّقَ بالقَلْبِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ حَقّاً، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا أَوْ أَنْكَرَ وَاحِداً مِنْهَا فَهُوَ كَافِرٌ.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا مَعْنَى الإِيمانِ باللهِ؟

فَقُلْ: هُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى مَوْجودٌ لاَ شَكَّ،

والقدر بفتح الدال هو إيجاد الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين أراده الله سبحانه وتعالى، والقضاء هو إرادة الأشياء في الأزل على ما هي عليه.

(**فهذه ستة أمور هي أركان الإيمان**) أي قواعده التي يبنى عليها (**فمن آمن بها وصدق بالقلب فهو مؤمن**) إيمانا (**حقا**) أي فهو كامل الإيمان.

واعلم أن الإيمان لغة هو مطلق التصديق، وقد نقل في الشرع إلى التصديق بما جاء به النبي ﷺ عن الله، فيجب على كل مكلف أن يصدق بذلك ويؤمن به.

(**ومن**) بلغ وهو مكلف و(**لم يؤمن بها**) أي بالأركان الستة (**أو أنكر واحدا منها فهو كافر**) لأنه في الأولى لا إيمان له، والكافر اسم لمن لا إيمان له، ولأنه في الثانية أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومنكر ذلك كافر.

واعلم أن المصنف بعد ما أتى بأركان الإيمان إجمالا أتى بشرح معانيها مع كمال التفصيل والتوضيح، قال ﷺ:

(**فإن قيل لك: ما معنى الإيمان بالله**) سبحانه وتعالى (**فقل: هو أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى موجود**)، يقال: اعتقد الإنسان على كذا أي عقد عليه قلبه وضميره، والمراد هنا أن تربط وتعقد قلبك مع التصميم على أن الله موجود (**لا شك**) يعتريك في وجوده. والشك هو التردد وعدم اطمئنان القلب بثبوت الشيء أو نفيه.

وَأَنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ، وأَنَّهُ وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ مُعِينَ وَلاَ وَزِيرَ وَلاَ مِثْلَ لَهُ، وأَنَّه قَدِيمٌ لا ابْتِدَاءَ لَهُ، وأَبَدِيٌ لا فَنَاءَ لَهُ، وأَنَّهُ خَالِقٌ لِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، وَرَازِقٌ لِجَمِيعِ الحَيْوَانَاتِ، مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الكَمَالِ كالعِلْمِ وَالقُدْرَةِ، والإِرَادَةِ، والسَّمْعِ، والبَصَرِ، مُنَزَّهٌ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَلالِهِ كالجَهْلِ، والعَجْزِ،

(و) أن تعتقد (أنه لا إله) أي لا معبود بحق في الوجود (إلا هو، و) أن تعتقد (أنه واحد) فرد صمد (لا شريك له) في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، (ولا معين) ولا مساعد، (ولا وزير) يستعين به، بل هو المستعان، (ولا مثل له) ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1].

(و) أن تعتقد (أنه قديم لا ابتداء له) القديم هو من لا أول له، (و) أنه (أبدي لا فناء له) الأبدي هو الذي لا يلحقه العدم، (و) أن تعتقد (أنه خالق لجميع المخلوقات) أي محدثُهم من العدم إلى الوجود، والخلق هو إنشاء الشيء وإحداثه من العدم إلى الوجود، وهذا لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى، والمخلوقات جمع مخلوق.

(و) أن تعتقد أنه (رازق لجميع الحيوانات)، الرزق هو ما ساقه الله إلى الحيوان مما ينتفع به، فيدخل فيه رزق الإنسان من مأكول وغيره حلالا كان أو حراما، قال في الزبد: والرزق ما ينفع ولو محرما، وقال في الجوهرة: والرزق عند القوم ما به انتفع، بالبناء للمجهول.

(و) أن تعتقد أنه (موصوف بصفات الكمال كالعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر)، وأنه (منزه) أي مبرأ (عما لا يليق بجلاله) من أضداد هذه الصفات (كالجهل، والعجز) والإكراه، والصمم والعمى.

(١) سورة الشورى: ١١/٤٢

وأَنَّهُ يَتَصرَّفُ في مُلْكِهِ مَا يَشَاءُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ مَا يُرِيدُ ويخْتَارُ.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا مَعْنَى الإيمانِ بالمَلائِكَةِ؟

فَقُلْ: هُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ للهِ مَلائكَةً خَلَقَهُمْ مِنْ نُورٍ، لَيْسُوا بِذُكُورٍ وَلاَ إِنَاثٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَكْلٌ وَلاَ شُرْبٌ، وَطَعامُهُمْ: التَّقْدِيسُ، والتَّسْبِيحُ، والعِبَادَةُ، والمُنَاجَاةُ،

(و) أن تعتقد (**أنه يتصرف في ملكه**) وملكوته، ويفعل (**ما يشاء**)، فما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن، (**ويحكم في خلقه ما يريد ويختار**) لا رادّ لأمره ولا ناقض لحكمه، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته عجزوا عن ذلك، سبحانه جل شأنه.

(**فإن قيل لك: ما معنى الإيمان بالملائكة فقل: هو أن تعتقد أن لله ملائكة، خلقهم من نور، ليسوا بذكور ولا إناث**)، بل هم أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، شأنها طاعة الله، ومسكنها السماوات غالبا، ومنهم من يسكن الأرض، (**وليس لهم أكل ولا شرب**) أي لا يأكلون ولا يشربون، (و) إنما (**طعامهم التقديس والتسبيح**)، وهما بمعنى واحد، أي طعامهم الذي يتغذون به تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله.

(**والعبادة**) أي الطاعة لله تعالى، ولا ينتظرون بأعمالهم إلا رضى الله والتنعم برؤية وجهه الكريم في الآخرة، فلا يتنعمون بجنة، ولا يتعذبون بنار، فدخولهم الجنة والنار على حد سواء، فلذا كان منهم خزنة للجنة وخزنة للنار.

(و) كذلك طعامهم (**المناجاة**) وهي في الأصل المخاطبة والمكالمة بالسر، والمراد بها الأذكار والتسبيح، ومناجاةُ الرب للعبد الفتحُ ورفع الأستار، وتكون بالتفهيم.

فَهُمْ عِبَادُ اللهِ المُكْرَمُونَ، لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، وَعَنْ عِبَادَتِهِ لاَ يَفْتُرُونَ، وَهُمْ مَعْصُومُونَ عَنِ المَعَاصِي، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

وَكُلُّهُمْ دَاخِلُونَ فِي حُكْمِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ثُمَّ يُنْشِئُهُم اللهُ وَيُعِيدُهُم إِلَى الحالةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قَبْلَ المَوْتِ.

(فهم عباد الله المكرمون) بالعصمة من الزلل (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وعن عبادته لا يفترون) ولا ينامون (وهم معصومون عن المعاصي كما قال الله تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾)[1] به من الطاعة والتدبير.

(وكلهم) يموتون بالنفخة الأولى إلا حملة العرش والرؤساء الأربعة فإنهم يموتون بعدها، فهم (داخلون في حكم قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾)[2].

ثم ينشئهم الله ويعيدهم إلى الحالة التي كانوا عليها قبل الموت)، وكذلك جميع المخلوقات بالنفخة الثانية، فترجع الأرواح لأجسادها لا تخطئ روح جسدها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾[3]، وما بين النفختين أربعون سنة.

---

(١) سورة التحريم: ٦/٦٦

(٢) سورة القصص: ٨٨/٢٨

(٣) سورة الزمر: ٦٨/٣٩

وَأَفْضَلُ المَلائكةِ أَرْبَعَةٌ: جِبْرائِيلُ، وَمِيكائيلُ، وَإِسْرافِيلُ، وَعَزْرائيلُ، فَجبرائيلُ صَاحِبُ الوَحْيِ، وَمِيكائيلُ صاحبُ المَطَرِ، وإِسْرافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ، وَعَزْرائيلُ مَلَكُ المَوْتِ، وَكَّلهُ اللهُ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الخَلائِقِ، فَيَظْهَرُ لِلْمُؤْمِنِ بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَيَظْهَرُ لِلْكَافِرِ بِصُورَةٍ قَبِيحَةٍ.

(**وأفضل الملائكة أربعة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل**)، وهؤلاء هم المتصرفون، (**فجبرائيل صاحب الوحي**) أي صاحب الخبر الذي يأتي به من الله للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (**وميكائيل صاحب المطر**) فهو موكل بكيل الأمطار والأرزاق وتصوير الأجنة في الأرحام. (**وإسرفيل صاحب الصور**) فهو موكل بالنفخ، وباللوح المحفوظ.

(**وعزرائيل**) بفتح العين (**ملك الموت، وكله الله بقبض أرواح الخلائق**) أي بإخراج كل روح من مقرّها ولو قملة أو بعوضة. (**فيظهر للمؤمن بصورة حسنة**) ويترفق بإخراج روحه، (**ويظهر للكافر بصورة قبيحة**) روي عن ابن مسعود وابن عباس: «أن إبراهيم ﷺ قال: يا ملك الموت أرني كيف تقبض أنفاس الكفار قال: يا إبراهيم لا تطيق ذلك، قال: بلى، قال: أعرض، فأعرض ثم نظر، فإذا هو برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهيب النار، فغشي على إبراهيم.

ثم أفاق، وقد تحول ملك الموت إلى الصورة الأولى، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك هذه لكفاه، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمن قال: أعرض، فأعرض ثم التفت فإذا برجل شاب أحسن الناس وجها، وأطيبهم ريحا في ثياب بيض فقال: يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند الموت من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه».

فَمَنْ قَالَ: لَيْسَ للهِ مَلائِكَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ. وأَنَّ أَصْنَافَ المَلائِكَةِ كَثِيرةٌ، مِنْهُمْ حَمَلَةُ العَرْشِ، وَمِنْهُمُ الكِرَامُ الكَاتِبُونَ، وَمِنْهُمْ خَزَنَةُ الجَنَّةِ، ومِنْهُمْ خَزَنَةُ النَّارِ. وَلاَ يَعْلَمُ عَدَدُهُمْ إلاَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا مَعْنَى الإِيمَانِ بالكُتُبِ؟

(**فمن قال: ليس لله ملائكة فهو كافر**) لوجوب الإيمان بهم، وللنص على وجودهم في القرآن، ولأنه يلزم من قوله ذلك تكذيبه للنبي ﷺ. (و) اعلم (**أن أصناف الملائكة كثيرة، منهم حملة العرش**) وهم أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا، وهم أربعة الآن، فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة أخرى كما قال: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾[1].

(**ومنهم الكرام الكاتبون**) الموكلون بكتابة ما يصدر عن المكلف قولا وفعلا واعتقادا، ولا يفارقونه إلا عند نحو الجماع، ولا يمنعهم ذلك عن كتابة ما يصدر منه حينئذ، وهما رقيب وعتيد، ومعنى رقيب: الحافظ، ومعنى عتيد: الحاضر، وكل واحد منهما يسمى بهذين الاسمين كما قال القائل:

هما رقيب وعتيد علما لكل واحد كما قد علما

(**ومنهم خزنة الجنة**) ورئيسهم رضوان. (**ومنهم خزنة النار**) ورئيسهم مالك. ومنهم موكلون بالسحاب والأمطار والبحار. (**ولا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى**) لقوله: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[2]. (**فإن قيل لك: ما معنى الإيمان بالكتب**) المنزلة والمراد منها ما يشمل الصحف المنزلة في الألواح أو على لسان الملك،

---

(١) سورة الحاقة: ١٧/٦٩

(٢) سورة المدثر: ٣١/٧٤

فَقُلْ: هُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكُتُبِ عَلَى المُرْسَلِينَ، وَهُوَ كَلَامُهُ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ،

(فقل: هو أن تعتقد بأن جميع ما أنزل الله من الكتب على المرسلين وهو كلامه) القديم (غيرُ مخلوق) غيرُ خبر أن، وجميعَ اسمها، ولا خلاف بين أهل الملل في كون الباري متكلما، وإنما الخلاف في معنى الكلام، فعند أهل السنة كلام الله ليس مخلوقا لأنه صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزه عن التقدم والتأخر.

واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى، ويطلق على الكلام اللفظي الذي نقرؤه، وعلى هذا الإطلاق الأخير يحمل قول سيدتنا عائشة ﷺ: «ما بين دفتي المصحف كلام الله».

ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثا، لا يجوز أن يقال: إن القرآن حادث إلا في مقام التعليم لأنه يطلق على الصفة القديمة، وأما قوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾[1] فالمراد به محدث الإتيان لهم لا الوجود، فهو قديم في العين حادث في الإتيان.

فائدة في الفرق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي.

القرآن: معناه ولفظه مضافان إلى الله، وهو معجز. والحديث القدسي: معناه مضاف إلى الله، ولفظه إلى النبي، وهو غير معجز. والحديث النبوي: معناه ولفظه مضافان إلى النبي وبالنظر إلى أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى لا فرق بين الحديثين إلا أن الأول مروي عن الله، والثاني مروي عن النبي.

(١) سورة الأنبياء: ٢/٢١

وأنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الأَخْبَارِ والقَصَصِ والوَعْدِ والوَعِيدِ هُوَ حَقٌّ لاَ شَكَّ فِيهِ، فَمَنْ أَنْكَرَ شَيْئاً مِنَ كُتُبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ جَحَدَ آيَةً مِنْهَا فَهُو كَافِرٌ.

وَجَمِيعُ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلَى الرُّسُلِ مِئَةُ صَحِيفَةٍ وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ: عَلَى آدَمَ عَشْرُ صُحُفٍ، وَعَلَى شِيثٍ خَمْسُونَ صَحِيفَةً، وَعَلَى إِدْرِيسَ ثَلاَثُونَ صحيفةً، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرُ صُحُفٍ،

(و) أن تعتقد (**أن جميع ما**) ورد (**فيه من الأخبار**) الماضية والمستقبلة (**والقصص**) جمع قصة (**والوعد**) بالخير لأهل الصلاح (**والوعيد**) بالشر لمن خالف أمر الله (**هو حق لا شك فيه**) وقد تقدم معنى الشك. (**فمن أنكر شيئا من كتب الله عز وجل أو جحد**) هو بمعنى أنكر، إلا أن الجحود لا يكون إلا على علم من الجاحد (**آية منها فهو كافر**) للزوم ذلك تكذيبه للنبي ﷺ.

(**وجميع الكتب المنزلة على الرسل**) جمع رسول وقد مر معناه، (**مئة صحيفة وأربعة كتب، على آدم عشر صحف**) جمع صحيفة، وهي قطعة من جلد أو قرطاس، كتب فيه. وآدم هو أبو البشر، وسمي بآدم لأنه خلق من أديم الأرض (**وعلى شيث خمسون صحيفة**) وشيث هو ابن آدم، وكانت ولادته لمضي مئتين وثلاثين سنة من عمر آدم، وهو وصيه ومعنى شيث هبة الله.

(**وعلى إدريس ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحف**) وإبراهيم هو ابن تارخ، وهو آزر بن ناحور، وولد إبراهيم بالأهواز، وقيل: ببابل بعد الطوفان بألف وإحدى وثمانين سنة، وإدريس هو جد نوح، وهو الذي رفعه الله إلى السماء، وكان ذلك قبل ولادة نوح بمئة وخمس وسبعين سنة، ومما جاء في صحفه: لا تروموا أن تحيطوا بالله خبرة، فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين.

والتَّوْراةُ عَلَى مُوسَى، والزَّبُورُ عَلى دَاودَ والإنْجيلَ عَلى عِيسَى، والفُرْقَانُ على مُحَمَّدٍ ﷺ. والقُرْآنُ أفْضَلُ مِنْ جَميع الكُتُب المنزَّلةِ، لأنَّه مُحكَمٌ غَيْر مَنْسُوخٍ إلَى يَوم القِيَامةِ، وغَيْرُهُ أحْكَامُهُ مَنْسُوخةٌ

(**والتوراة على موسى**) بن عمران بن قاهاث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. (**والزبور على داود**) بن بيشار بن عوفيد بن بوعز بن سلمون، بينه وبين إبراهيم أحد عشر أبا.

(**والإنجيل على عيسى**) بن مريم، حملت بعيسى وهي بنت ثلاث عشرة سنة، وكان ميلاد عيسى في بيت لحم، وهي قرية قريبة من القدس سنة أربع وثلاثمئة من غلبة الإسكندر، ورفع بعدها بثلاثمئة وست وثلاثين، وبين رفعه ومولد النبي ﷺ خمسمئة وخمس وأربعون سنة. (**والفرقان على محمد** ﷺ) وهو القرآن الكريم. وهذه الكتب الأربعة يجب على المكلف معرفتها تفصيلا.

(**والقرآن**) المنزل على سيدنا محمد ﷺ (**أفضل من جميع الكتب المنزلة**) من السماء (**لأنه**) أي القرآن (**محكم غير منسوخ**) المحكم هو الذي يعمل به، وهو خلاف المنسوخ، ولأنه محفوظ من التحريف والتبديل (**إلى يوم القيامة**) قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾[1] أي من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان. وسمي يوم القيامة بيوم القيامة، لقيام الخلق فيه من قبورهم أو لقيام الناس لرب العالمين.

(**وغيره**) أي غير القرآن من الكتب المنزلة، (**أحكامه منسوخة**) بشريعته ﷺ لأن بعثته عامة وشريعته ناسخة لشرائع من قبله من الأنبياء، وباقية إلى يوم القيامة

(١) سورة الحجر: ٩/١٥

لاَ يجوزُ قِرَاءَتُها وَلا كِتَابَتُها لأنَّ اليَهُودَ والنَّصارَى قَد غَيَّرُوها وَبَدَّلُوا أحْكَامَها وَأحلّوا حَرَامها، وَحَرَّمُوا حَلالَهَا، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ والمَلائِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعين.

فَإنْ قِيلَ لَكَ: مَا مَعْنى الإيمانِ بالرُّسُل؟

فَقُلْ: هُوَ أنْ تَعْتَقِدَ بأنَّ جَميعَ الأنْبياءِ والرُّسُل عِبَادُ اللهِ،

لا ينسخها غيرها أبدا لقوله ﷺ: «لن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» أي الساعة.

ومن أجل أن الشرائع كلها منسوخة بشريعته ﷺ (لا يجوز) العمل بتلك الكتب المنزلة ولا (قراءتها ولا كتابتها) لا سيما التوراة والإنجيل (لأن اليهود) وهم أمة موسى ﷺ (والنصارى) وهم أمة عيسى ﷺ (قد) حرفوها و(غيروها، وبدلوا أحكامها، وأحلوا حرامها، وحرموا حلالها) هذا في التوراة الأصلي والإنجيل الأصلي الذين فقدا قبل بعثته ﷺ.

وأما الموجودان الآن بيد اليهود والنصارى فهما بمنزلة كتابين في السير، فيهما الروايات الصحيحة والكاذبة، فكل رواية صدقها القرآن فهي مقبولة والتي كذبها فهي مردودة (عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

قال الإمام النووي: يجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقوله: لعن الله الظالمين، لعن الله اليهود والنصارى وغير ذلك كما جاء في الأحاديث.

(فإن قيل لك: ما) حقيقة (معنى الإيمان بالرسل) جمع رسول، وقد مر معناه. (فقل: هو أن تعتقد بأن جميع الأنبياء) جمع نبي وقد مر معناه (و) أن جميع (الرسل) هم (عباد الله) سبحانه وتعالى منزهون عن كل نقص

وأَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ بالحَقِّ إِلَى الخَلْقِ وَكُلُّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللهِ، مُنَزَّهُونَ عَنِ الكَذِبِ والافْتِرَاء عَلَى اللهِ تَعَالى، ومَعْصُومُونَ عَنِ الكُفْرِ والمَعَاصِي.

(و) أن تعتقد (أنهم مبعوثون) أي مرسلون بالهدى و(بالحق إلى) كافة (الخلق، و) أنهم (كلهم صادقون فيما أخبروا به عن الله) تعالى من أحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة وغير ذلك (منزهون) عن كل عيب و(عن) كل وصف ونقص مثل (الكذب، والافتراء على الله تعالى) الكذب هو الإخبار بخلاف الواقع، والافتراء بمعناه.

(و) أنهم (معصومون) عن الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها، فهم معصومون (عن الكفر) بجميع أنواعه (و) عن (المعاصي) بجميع أنواعها لثبوت إجماع أهل الحق على عصمتهم من كل مخالفة وعيب في الأقوال والأفعال، في الظاهر والباطن، وعلى نزاهتهم من جميع الذنوب والآثام.

وما نقله بعض المؤرخين فيهم من المساوئ التي لا تليق بمقامهم لا يجوز نسبة ذلك إليهم. وما جاء في القرآن والسنة مما ظاهره إسناد شيء من الذنوب والمعاصي إليهم فهو عند أهل السنة محمول في حقهم على السهو، أو مؤول بترك التيقظ، أو بترك الأفضل، أو بترك الأولى.

ولا يجوز النطق بشيء من معاصيهم في غير مورده إلا في مقام التعليم لأنها كلها من باب حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقربين، يعني أنها بالإضافة إلى علي أحوالهم وسني مقاماتهم كالسيئات. ألا ترى إلى قول بعضهم: منذ ثلاثين سنة وأنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله، وذلك لأنه وقع حريق ببغداد، فقيل له:

وأوَّلُ الأنبياءِ آدَم ﷺ، وآخِرُهُم مُحَمَّدٌ ﷺ، ومَعْرِفَةُ عَدَدِهم ليْسَت شرطاً لِصحَّة الإيمانِ.

سلم حانوتك، فقال: الحمد لله، فإذا كان هذا حال الأولياء فما بالك بحال الأنبياء مع علو مقامهم وكمال معرفتهم بالله.

(و) اعلم أن (أول الأنبياء) وجودا هو (آدم) أبو البشر (ﷺ) ولا ينافي هذا ما قاله ﷺ: «أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا وكنت نبيا وآدم بين الماء والطين» فالخلق هنا هو التقدير دون الإيجاد الحسي، وقوله: كنت إشارة إلى ما ذكر فإنه كان قبل تمام خلقه آدم في التقدير لا في الإيجاد.

(وآخرهم محمد ﷺ) أي خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، فأصل النبوة تمهد بآدم، ولم يزل ينمو ويكمل حتى بلغ الكمال به ﷺ.

وقد اختلفت الروايات في عدد الرسل والأنبياء، والصحيح الإمساك عن حصرهم في عدد لقوله تعالى: ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾[1] فالواجب التصديق بأن لله رسلا وأنبياء على الإجمال فقط، ولذلك قال المصنف: (ومعرفة عددهم ليست شرطا لصحة الإيمان) لكن يجب معرفة خمسة وعشرين على التفصيل كما أشار إلى ذلك بعضهم بقوله:

حتم على كل ذي التعريف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا

إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

(١) سورة غافر: ٤٠/٧٨

وَجَاء في بَعْض الأحاديثِ عَنْ أبي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ: كَمِ الأنْبياء قَالَ: «مَئةُ ألْفٍ وأرْبَعَةٌ وعشرونَ ألفاً»، فَقُلْتُ: كم الرُّسُل قال: «ثَلاثُمئةٍ وَثَلاثَةَ عَشَر»،

والمذكورون في الآية: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط. وليس المراد من معرفتهم أن يحفظ أسماءهم ويسردها بل المراد أنه لو سئل عن واحد منهم هل هو نبي ورسول أم لا فيقول: نعم هو نبي ورسول.

(**وجاء في بعض الأحاديث عن أبي ذر**) الغفاري الصحابي الجليل واسمه جندب بن جنادة ﷺ (**قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء قال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفا» فقلت: كم الرسل قال: «ثلاثمئة وثلاثة عشر»**). وقيل: الأنبياء مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفا وقيل غير ذلك. والأفضل بعد نبينا هو إبراهيم ثم موسى ويليه عيسى ويليه نوح.

وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم أي الصبر وتحمل المشاق المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾[1] وذكرت أسماؤهم في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى﴾[2] وقد نظمها على الترتيب في الفضل بعضهم بقوله:

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم

فيجب على المكلف الإيمان بهم تفصيلا ومعرفة ترتيبهم في الأفضلية، وأما غيرهم من بقية الأنبياء والرسل ما عدا الخمسة والعشرين فلا يجب عليه إلا أن

(١) سورة الأحقاف: ٣٥/٤٦

(٢) سورة الأحزاب: ٧/٣٣

فَالأحْوَطُ أنْ تَقُولَ: آمَنْتُ بجميعِ الأنْبياءِ والمُرْسَلينَ. وَلاَ يتعيَّنُ عَدَدهُمْ. وَيَنْبغي أن تَعْلَمَ أنَّ الرَّسُولَ أفْضَلُ مِنَ النَّبيِّ، لأن الرَّسُولَ صَاحِبُ كتابٍ وشريعةٍ، ونَزَلَ عَلَيْه جبْرائيلُ،

يؤمن بهم جميعا. وحيث قد علمت اختلاف الروايات في عدد الأنبياء والرسل (فالأحوط أن تقول: آمنت بجميع الأنبياء والمرسلين) من غير حصرهم في عدد لأنه ربما أدى ذلك إلى إثبات النبوة لمن ليس كذلك، أو إلى نفيها عمن كان كذلك (ولا يتعين) عليك (عددهم) ولا معرفة أسمائهم كلهم.

(وينبغي) لك (أن تعلم أن الرسول أفضل من النبي لأن الرسول صاحب كتاب وشريعة، ونزل عليه جبرائيل). في قول المصنف: لأن الرسول الخ أبحاث لأنه يفهم منه أن الرسول لا يكون إلا صاحب كتاب وشرع ويشكل بقوله تعالى: ﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين﴾[1] ومع ذلك لم يوح إليهم بكتاب مستقل.

ويشكل بمثل داود ﷺ إذ له كتاب دون الشريعة ومع ذلك أمر بمتابعة الشرع السابق. قوله: ونزل عليه جبرائيل أي بالوحي، وهو الكلام الخفي يدرك بسرعة، ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة.

والوحي على ثلاثة أنواع: بلا واسطة، بل يخلق الله في قلب الموحى إليه علما ضروريا بإدراك ما شاء الله إدراكه من الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى أو بواسطة خلق الأصوات في بعض الأجسام أو بإرسال ملك. وإلى الأول أشير بقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا﴾[2]

---

(١) سورة الأنعام: ٨٦/٦

(٢) سورة الشورى: ٥١/٤٢

والنَّبيُّ مَنْ كَانَتْ نُبُوَّته إلْهاماً أوْ مَناماً أو هَاتِفاً، وَلاَ شَكَّ أنَّ صَاحِبَ الكتَاب أفْضَلُ مِنْ غَيْرِه، وأنَّ الرَّسُولَ أفْضَلُ مِنَ النَّبيِّ، وأنَّ صاحِبَ الكتَابِ أفْضَلُ مِنَ صَاحِبِ الصُّحفِ. وَيَجِبُ أنْ تَعْلَمَ أنَّ نَبيَّنَا مُحَمَّد بن عَبْدِ اللهِ أفْضَلُ مِنَ الأنْبياءِ والمُرْسَلِينَ،

وإلى الثاني بقوله: ﴿أو من وراء حجاب﴾[1] وإلى الثالث بقوله: ﴿أو يرسل رسولا﴾[2]. (والنبي من كانت نبوته إلهاما) الإلهام: إلقاء شيء في القلب بواسطة الفيض يطمئن له القلب، ومنه وحي أم موسى (أو مناما) «قالت عائشة: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح».

(أو هاتفا) ومنه ما سمعه سيدنا موسى ﷺ يقال: هتف بفلان، أي صاح به والهاتف ما يسمع صوته ولا يرى شخصه. وفي قول المصنف: والنبي من كانت نبوته إلهاما الخ إشكال لأنه يفهم منه أن النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك وليس كذلك. (ولا شك أن) الرسول (صاحب الكتاب) هو (أفضل من غيره) سواء كان صاحب صحف أم لا كما سيأتي.

(وأن الرسول) مطلقا (أفضل من النبي) وأفضلية الرسول لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة (وأن صاحب الكتاب أفضل من صاحب الصحف) ويشكل هنا بما تقدم من أن أفضل الأنبياء بعد نبينا هو إبراهيم ﷺ وهو ليس صاحب كتاب. (ويجب) عليك (أن تعلم أن نبينا محمد بن عبد الله أفضل من الأنبياء والمرسلين) جميعا لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر».

(١) سورة الشورى: ٥١/٤٢

(٢) سورة الشورى: ٥١/٤٢

وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ،

(وأنه خاتم النبيين) أي والمرسلين لدخول الأخص تحت الأعم.

ويجب عليك معرفة اسمه ﷺ ومعرفة آبائه من جهة أبيه وأمه. أما آباؤه من جهة أبيه فهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نزار بن معد بن عدنان،

إلى هنا ثبت بطرق صحيحة، وما فوق ذلك ينبغي الإمساك عن تعيينه.

وأما نسبه من جهة أمه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن كلاب بن مرة فتجتمع مع النبي ﷺ في كلاب بن مرة، وعبد مناف الذي في نسبه غير عبد مناف الذي في نسبها.

وأما أولاده ﷺ فهم سبعة: ثلاثة ذكور، وأربعة إناث. وترتيبهم في الولادة: القاسم، وهو أول أولاده ﷺ ثم زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم عبد الله، وهو الملقب بالطيب وبالطاهر.

وكلهم من سيدتنا خديجة بنت خويلد ﷺ والسابع إبراهيم من مارية القبطية، وهي جارية أهديت له من ملك مصر، فولدت له إبراهيم. وقد نظم بعضهم أسماءهم في قوله متوسلا:

يا ربنا بالقاسم بن محمد ... فبزينب فرقية فبفاطمة

فبأم كلثوم فعبد الله ثـ ... ـم بحق إبراهيم نج ناظمه

وَلاَ بَعْدَهُ نبيٌّ ولا مُرْسَلٌ، وَهُوَ ﷺ وُلِدَ بمكَّة المُشَرَّفَةِ، وَنَشأَ بِهَا،

وأما زوجاته ﷺ اللاتي توفي عنهن فتسع: وقد نظم بعضهم أسماءهن في قوله:

توفي رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست نظمهن مهذب

(و) يجب عليك أن تعلم أن (**لا بعده نبي ولا مرسل**) ولا يشكل ذلك بنزول سيدنا عيسى ﷺ في آخر الزمان لأنه إنما ينزل حاكما بشريعة نبينا ومتبعا له. ويجب عليك أيضا أن تعرف شيئا من أحواله وسيرته وموضع ولادته (**وهو**) أنه (ﷺ **ولد بمكة المشرفة، ونشأ بها**) بل يجب على الولي أن يعلم الصغير إذا ميز أنه ﷺ ولد بمكة ودفن بالمدينة، وهو أول واجب للأولاد على أصولهم.

وكان حمل أمه به ﷺ في أول رجب، وبعد شهر من حمله توفي أبوه في المدينة عند أخواله بني النجار، وعمره ثماني عشرة سنة. ولما تمت أشهر حمله ﷺ ولد في ثاني عشر ربيع الأول من عام الفيل سنة اثنين وسبعين وخمسمئة ميلادية أي العام الذي حبس فيه الفيل عن دخول مكة لهدم الكعبة.

وأرضعته أمه ثلاثة أيام ثم ثويبة مولاة عمه أبي لهب أياما، ثم حليمة السعدية، وبقي عندها سنتين، ثم ردته إلى أمه وقد حصل لها ببركته ﷺ من البركة وسعة العيش ما لا يحد ولا يحصى. ولله در من قال:

لقد بلغت بالهاشمي حليمة ... مقاما علا في ذروة العز والمجد

وزادت مواشيها وأخصب ربعها ... وقد عم هذا السعد كل بني سعد

ولما بلغ ست سنين ماتت أمه ﷺ فكفله جده عبد المطلب، ثم لما بلغ ثماني سنين توفي جده، فقام بكفالته عمه أبو طالب واعتنى به اعتناء كبيرا. واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، مات في شوال ستة عشر من النبوة. واسم عبد المطلب عامر، واسم أبيه هاشم عمرو، واسم عبد مناف المغيرة، واسم قصي زيد، ويدعى مجمع لأنه جمع قبائل قريش فأنزلها مكة.

ولما بلغ ﷺ اثنتي عشرة سنة سافر مع عمه في تجارة إلى الشام، فعرفه الراهب بحيرا. ولما بلغ خمسا وعشرين سنة سافر إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد ومعه ميسرة غلامها فعرفه الراهب نسطورا وقال: هذا آخر النبيين ليتني أدركه.

وتزوج خديجة بعد ذلك بشهرين وأيام، وأصدقها عشرين بكرة وكان عمرها يومئذ أربعين سنة، ولم يتزوج ﷺ غيرها حتى ماتت، وكان موتها بعد أبي طالب بثلاثة أيام. وتتابعت على النبي ﷺ بموتها المصائب، ونالت منه قريش خصوصا أبو لهب بن عبد المطلب والحكم بن العاص وغيرهما.

ولما بلغ النبي ﷺ خمسا وثلاثين سنة شرعت قريش في بناء الكعبة، فكان ﷺ ينقل الحجر مع أشراف مكة، وعندما أرادوا وضع الحجر اختلفوا لأن كل قبيلة أرادت أن ترفعه إلى موضعه، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب الحرم، فكان رسول الله ﷺ أول داخل فحكموه، فأمرهم أن يضعوا الحجر في ثوب، وأن تمسك كل قبيلة بطرف من أطرافه، وأن يرفعوه إلى موضعه، ففعلوا ذلك، وأخذه رسول الله ﷺ بيده الشريفة، ووضعه في موضعه.

فَلَمَّا تَمَّ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً بَعَثَهُ اللهُ نَبِيّاً مُرْسلاً.

(فلما تم له أربعون سنة بعثه الله نبيا مرسلا) إلى كافة الخلق ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وكان قبل أن يبعثه الله يتعبد في غار حراء على دين إبراهيم ﷺ، وبينما هو معتكف فيه يوم الإثنين سبع عشر خلت من شهر رمضان إذ ظهر له الملك، وقال له: يا محمد أبشر أنا جبرائيل، وأنت رسول الله إلى الخلق، ثم قال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فضمه ثم قال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ فضمه أيضا، ثم قال له: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق﴾[1] فقرأها ﷺ، وهذا أول ما أنزل من القرآن عليه ﷺ.

فائدة: كان قومه ﷺ على بقايا من دين أبيهم إبراهيم ﷺ إلا طائفة من قريش، منهم أبو جهل وغيره، وكانوا مع ذلك يؤمنون بالله ويوحدونه في صفاته وأفعاله، ويؤمن بعضهم بالبعث والحساب.

وأما آباؤه ﷺ وأمهاته فكلهم إلى آدم على التوحيد، يدل لذلك قولُه ﷺ: «فلم أزل أنتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصلت إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى أمي» الحديث، وقولُه تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم ﷺ: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾[2] ففي قوله: ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ اختصاص لبعض ذريته، وهم آباء نبينا ﷺ وأجداده من إبراهيم

(١) سورة العلق: ٩٦/١،٢

(٢) سورة البقرة: ٢/١٢٧،١٢٨

إلى عبد الله اعتناء بهم. وقوله: ﴿وابعث فيهم﴾ أي في تلك الأمة المسلمة من ذريتي ﴿رسولا منهم﴾ أي من أنفسهم وهو سيدنا محمد ﷺ ﴿يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب﴾، أي القرآن. وقد تضمنت هذه الآية أمورا:

أحدها أن تكون الأمة التي بعث فيهم سيدنا محمد ﷺ منهم مسلمة بالإسلام المجعول من الله تعالى.

والثاني أن يكون ذلك الرسول من ذرية إبراهيم لأن الأمة التي بعث فيهم رسولا كانوا من ذريته.

الثالث امتداد الملة الحنيفية والشريعة الخليلية إلى بعثة نبينا ﷺ وعدم انقطاعها بين إبراهيم وبين بعثته ﷺ وإذا ثبت امتداد الإسلام وعدم انقطاعه من إبراهيم ﷺ إلى زمان بعثة نبينا ﷺ وثبت وجود الأمة الإسلامية التي بعث فيها منها ثبت توحيد أبيه عبد الله وإسلامه وتوحيد أمه وإسلامها، وثبت كونهما على دين إبراهيم ﷺ. انتهى بتصرف من مطالع النور السني للبسنوي مع زيادة يسيرة.

وقد ذهب كثير من حفاظ المحدثين إلى أن الله أحيا له ﷺ أبويه فآمنا به، واستدلوا بحديث عائشة ﷺ وهو وإن كان حديثا ضعيفا من جهة الصناعة الحديثية، لكنه صح عند بعض أهل الحقيقة، كما أشار إليه بعضهم بقوله:

أيقنت أن أبا النبي وأمه ... أحياهما الرب الكريم الباري

حتى له شهدا بصدق رسالة ... حقا فتلك كرامة المختار

هذا الحديث ومن يقول بضعفه ... فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

قال بعض شراح الحديث: وعلى تسليم أنه حديث ضعيف فضعفه إنما هو من جهة الصناعة الحديثية.

وأما نجاة أبويه ﷺ وإيمانهما بل وحصول أعظم منازل أهل الإيمان لهما، فهو اعتقادنا، يشهد بذلك جلالة قدره وعلو منصبه عند ربه.

فإذا كان الواحد من ذريته بل الواحد من صحابته بل الواحد من أمته ﷺ يناله من فضل الله ورحمته بواسطته ﷺ وبركته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدث عن البحر ولا حرج فكيف لا ينال أبواه ﷺ من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر كيف وقد من الله عليهما بمزية خروجه من بينهما رحمة للعالمين اهـ.

وأما الاستدلال بحديث مسلم على أنهما في النار فقد ردوه وقالوا بعدم جواز الحكم به على ذلك لأن لفظة «إن أبي وأباك» لم يتفق على ذكرها الرواة.

وإنما ذكرها حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس ﷺ وهي الطريق التي رواه مسلم منها، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر «إن أبي وأباك في النار» ولكن قال: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار» وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ بأمر ألبتة.

وأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعدي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابيا قال: يا رسول الله: أين أبي قال: «في النار» قال فأين أبوك قال: «حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار» وهذا إسناده على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره، ذكره السيوطي.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا مَعْنَى الإِيمانَ بِاليَوْمِ الآخِرِ؟

فَقُلْ: أَنْ تَعْتَقِد أَنَّ يَوْمَ القِيَامَة كائنٌ لا شَكَّ فيهِ، وكُلُّ ذي رُوحٍ يَمُوتُ وَلاَ يبْقى إلاَّ اللهُ تَعَالَى كَمَا قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عليْهَا فَانٍ ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّك ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَام﴾ وَأَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ بَعثَ اللهِ المَوْتَى مِنَ القُبُورِ حَقٌّ، وَنَفْخَ إِسْرَافيلَ في الصُّور حَقٌّ،

(فإن قيل لك: ما معنى الإيمان باليوم الآخر) وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا لأنه ليس منها حتى يكون آخرها.

(فقل): هو (أن تعتقد أن يوم القيامة كائن) كما وعد الله به (لا شك فيه و) أن تعتقد أن (كل ذي روح يموت) عند فراغ أجله المقدر أي تفارق روحه جسده لأن الموت هو مفارقة الروح الجسد (ولا يبقى) بعد فناء المخلوقات (إلا الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿كل من عليها﴾)[1] أي على وجه الأرض من الحيوان ﴿فان﴾ أي هالك، وعبر بمن تغليبا للعقلاء ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أي ذاته تعالى ﴿ذو الجلال﴾ أي العظمة ﴿والإكرام﴾ للمؤمنين بالنعمة عليهم.

(وأن تعتقد أن بعث الله) بسكون العين مصدر بعث بفتحها، (الموتى) جمع ميت (من القبور) جمع قبر (حق) أي ثابت. والبعث عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من القبور للحشر، وهو سوق الخلائق جميعا إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء بينهم.

(و) أن (نفخ إسرافيل في الصور) النفخة الأولى والثانية (حق) أما الأولى فهي التي لا يبقى عندها حي إلا مات، إلا من شاء الله كالملائكة الأربعة الرؤساء.

---

(١) سورة الرحمن: ٢٦/٥٥

والحِسَابَ حَقٌّ، فَمَنْ أَنْكَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَوْ مَا فِيهِ مِنَ الأَهْوَالِ فَهُوَ كَافِرٌ.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا الإِيمَانُ بِالقَدَرِ؟

فَقُلْ: أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ جَمِيعَ مَا يَجْرِي فِي العَالَمِ وَكُلَّ مَا يَحْدُثُ فِي الخَلْقِ مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالكُفْرِ وَالإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَالعِصْيَانِ كُلُّهُ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ،

وأما النفخة الثانية فهي نفخة البعث التي يجمع الله عندها الأرواح في الصور، وفيه ثقب بعددها، فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها، فلا تخطىء روح جسدها. والصور: هو قرن عظيم من نور لا يعلم قدر عظمه إلا الله وقد مر أن بين النفخة الأولى والثانية أربعين يوما.

(و) أن تعتقد أن (**الحساب حق**) لا شك فيه، وهو توقيف الله الناس على أعمالهم بالتفصيل، قال الله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾[1] قال ابن عباس وابن مسعود: بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء، وما أخره بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها. (**فمن أنكر يوم القيامة أو ما فيه من الأهوال**) وقد نص عليه الكتاب والسنة (**فهو كافر. فإن قيل لك: ما الإيمان بالقدر**).

(**فقل:**) هو (**أن تعتقد أن جميع ما يجري**) ويحدث (**في العالم**) العلوي والسفلي من اختلاف الليل والنهار والحياة والموت (**وكل ما**) يجري و(**يحدث في الخلق**) مما يلائم طبائعهم ويوافق نفوسهم كالتنعم والتلذذ بالملاذ كالعافية والمأكل والمشرب والمنكح، أو مما تنفر عنه طبائعهم كالآلام والأسقام والأمراض والجوع والعطش، وأن كل ما يحدث فيهم (**من الخير والشر كالكفر والإيمان والطاعة والعصيان كله بقضاء الله وقدره**) فلا مدبر في الملك والملكوت.

---

(١) سورة القيامة: ١٣/٧٥

وَلا مُقَدِّرَ إلاَّ اللهُ، وَلاَ خَالِقَ سِوَى اللهِ، وأنَّ الخَيْرَ بقضاءِ اللهِ وإرَادَتِهِ وَرِضَاه، والشَّرَّ بقضاءِ اللهِ وإرَادتِهِ، دُونَ رِضَاه، كَما قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ﴾.

(ولا مقدر) لشيء فهيما (إلا الله) سبحانه وتعالى (ولا خالق) فيهما ولا رازق (سوى الله) سبحانه وتعالى. والأدلة في ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾[1] ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[2] ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾[3]

(و) أن تعتقد (أن الخير بقضاء الله وإرادته ورضاه و) أن (الشر بقضاء الله وإرادته دون رضاه كما قال الله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾)[4] وعدم رضاه به لا ينافي أنه واقع بإرادته، إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد فالأمر والرضا لا يكونان إلا بالخير وأما الإرادة فتتعلق بالخير والشر.

يحكى أن القاضي عبد الجبار، وكان من رؤساء المعتزلة، اجتمع في مجلس مع الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، وكان من أكابر أئمة أهل السنة فقال عبد الجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء والنقائص، يريد الإشارة إلى أن الله يريد الخير ولا يريد الشر.

فقال الأستاذ أبو إسحاق على الفور: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء فالتفت عبد الجبار وعلم أنه فهم مراده، فقال: أيريد ربك أن يعصى فقال الأستاذ: أيعصى ربنا قهرا فقال عبد الجبار: أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم أساء.

(١) سورة الزمر: ٦٢/٣٩

(٢) سورة الصفات: ٩٦/٣٧

(٣) سورة فاطر: ٨/٣٥

(٤) سورة الزمر: ٧/٣٩

.....

فقال له الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. فانقطع عن الجواب، فقال الحاضرون: والله كأنه ألقمه حجرا.

القضاء والقدر: صفتان لله فالقضاء: صفة ذات وهو إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال. والقدر: صفة فعل، وهو إرادة الله الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين. والإيمان بالقدر مستلزم للإيمان بالقضاء.

ثم من المقضيات ما أحبها الله فيجب علينا حبها كالطاعات والإيمان، ومنها ما كرهها كالفسوق والعصيان، فيلزم علينا حبها من حيث كون ذلك مقضيا ومقدرا، وكراهتها وبغضها من حيث أن الباري لم يرض بذلك ولم يأمر به وإن كان ذلك بإرادته إذ الإرادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى كما سبق. وقد جعلوا لذلك مثلا ولله المثل الأعلى فيمن لسعت الحية أصبعه، وكانت سلامته موقوفة على قطع إصبعه، فإنه يختار قطعها بإرادته، لكن بتبعية إرادة السلامة، ولولاها لم يرد القطع أصلا، فيقال: هو يريد السلامة ويرضى بها، ويريد القطع ولا يرضى به.

فإن قلت: يلزم من الرضا بالقضاء والقدر الرضى بالكفر والمعاصي، لأن الله قضى بهما وقدرهما على الشخص مع أن الرضا بالكفر كفر وبالمعاصي معصية.

أجيب: بأن القضاء غير المقضي، والقدر غير المقدر، والكفر والمعاصي مقضي ومقدر لا قضاء وقدر، والذي يجب الإيمان والرضى به إنما هو القضاء والقدر. وقالوا: إن للكفر والمعاصي جهتين: جهة كونهما مقضيين ومقدرين، وجهة كونهما مكتسبين للعبد، فيجب الرضى بهما من الجهة الأولى لا من الثانية.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: فَهَلْ لِلْعَبدِ اخْتِيارٌ فِي الفِعْلِ والتَّرْكِ

فَقُلْ: للعبْدِ اختيارٌ وَقُدْرةٌ أعْطَاهُمَا اللهُ إيَّاهُ، فلذلِكَ يُثَابُ ويُعَاقَبُ،

واعلم أنه وإن وجب الإيمان بالقضاء والقدر، لكن لا يجوز الاحتجاج بذلك توصلا إلى الوقوع في المعاصي، أو تخلصا من الحد بعد الوقوع فيها كأن يقول من أراد شرب الخمر أو ترك الصلاة: قدر الله علي ذلك، ثم يشرب الخمر، أو يترك الصلاة، أو يقول من قد شرب الخمر أو ترك الصلاة أو من زنا: قدر الله علي ذلك.

وأما إذا كان لدفع الملامة فهو جائز كما جاء في رواية أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا أدم أنت أبونا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة فحج آدم موسى».

(فإن قيل لك: فهل للعبد اختيار في الفعل والترك فقل: للعبد اختيار وقدرة أعطاهما الله إياه فلذلك يثاب ويعاقب).

اعلم أن مسألة الكسب والاختيار وهما بمعنى واحد هي من معضلات المسائل وأدقها في ذا الباب، وقد افترق الناس فيها إلى قدرية وهم المعتزلة، وسموا قدرية لأنهم يقولون: إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية خيرها وشرها بقدرة خلقها الله فيه، وإلى جبرية.

وسموا بذلك لأنهم يقولون: إن العبد مجبور على الأفعال، كالحجر الملقى لا يتحرك إلا بمحرك، فليس له قدرة ولا اختيار ألبتة. وإلى أهل السنة والجماعة

وهذا مَذْهبُ أهلِ السُّنَّةِ، والجَمَاعَةِ.

وهم لا يقولون بقول القدرية ولا يقولون بقول الجبرية، بل يقولون: للعبد قدرة تتعلق بالفعل يخلقها الله تعالى عند خلق الفعل من غير تأثير لها فيه، وإنما التأثير لله سبحانه وتعالى.

فالعبد عندهم له في أفعاله الاختيارية كسب به صح نسبة الفعل إليه، وثبت التكليف عليه، وترتب الثواب والعقاب، فحركة العبد عندهم باعتبار نسبتها إليه تسمى كسبا، وباعتبار نسبتها إلى الله تسمى خلقا، فهي خلق الله سبحانه وتعالى، ووصف للعبد وكسب له.

(وهذا) هو (مذهب أهل السنة والجماعة) قال في الجوهرة:

وعندنا للعبد كسب كلفا ولم يكن مؤثرا فلتعرفا

قال الشارح: والضمير في عندنا لأهل السنة والجماعة بخلاف الجبرية والمعتزلة. ثم قال بعد ما بين مذهب كل واحد من الثلاثة: فالجبرية أفرطوا والمعتزلة فرطوا. وتوسط أهل السنة والجماعة وخير الأمور أوساطها فخرج مذهبهم من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين اهـ.

والمراد بأهل السنة والجماعة في عرف الناس اليوم هم أتباع الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤ هـ وأتباع الإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣ هـ وهذا أتباعه ما وراء نهر سيحون، وأما أتباع الأشعري فهم منتشرون في أكثر بلاد الإسلام، وأهل المذاهب الأربعة كلهم معتقدون بعقيدته وعقيدة الإمام الماتريدي، ولا خلاف بينهما إلا في مسائل يعذر

كل منهما صاحبه في الاجتهاد فيها. ونحن بحمد الله عقيدتنا أشعرية، وطريقنا علوية، تلقاها آباؤنا عن آبائهم طبقة عن طبقة:

حتى انتهى سر الرسول مسلسلا فيهم إلى هذا الزمان الحاضر

وأول وآخر من تلقينا عنه سيدي وبركتي الوالد العلامة: أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سميط، وهو عمن في طبقته آخرهم الإمامان القطبان علي بن محمد بن حسين الحبشي، وأحمد بن حسن بن عبد الله العطاس.

وهما عمن في طبقتهما آخرهم الإمام القطب عيدروس بن عمر الحبشي، وهو عن الإمامين عبد الله بن حسين بن طاهر، وحسن بن صالح البحر، ومن في طبقتهما عن الإمامين أحمد بن عمر بن سميط، وعبد الرحمن بن علوي، مولى البطيحا.

ومن في طبقتهما عن الإمامين: حامد بن عمر حامد وعلي بن شيخ بن شهاب الدين، ومن في طبقتهما عن الإمام حسن بن عبد الله الحداد، ومن في طبقته عن الإمام عبد الله بن علوي الحداد، ومن في طبقته عن الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس.

ومن في طبقته عن الإمام الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، ومن في طبقته عن أبيه الإمام الشيخ أبي بكر بن سالم، ومن في طبقته عن الإمام الشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمن، ومن في طبقته عن أبيه الإمام عبد الرحمن بن علي، والشيخ أبي بكر العيدروس، ومن في طبقتهما عن الإمام الشيخ عبد الله العيدروس، وأخيه

الإمام الشيخ علي بن أبي بكر، ومن في طبقتهما عن أبيهما الإمام الشيخ أبي بكر السكران، وعمهما الإمام الشيخ عمر المحضار، ومن في طبقتهما عن أبيهما الشيخ عبد الرحمن السقاف، ومن في طبقته عن أبيه الإمام الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة، ومن في طبقته عن الإمامين الشيخين عبد الله وعلي ابني علوي بن الفقيه.

ومن في طبقتهما عن أبيهما الإمام الشيخ علوي بن الفقيه المقدم، ومن في طبقته عن أبيه الإمام سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي، ومن في طبقته عن أبيه الشيخ علي بن محمد، ومن في طبقته عن الإمام الشيخ محمد صاحب مرباط عن أبيه الشيخ علي خالع قسم عن أبيه الشيخ علوي بن محمد، عن أبيه الشيخ محمد بن علوي، عن أبيه الإمام علوي بن عبيد الله.

عن أبيه الإمام عبيد الله بن أحمد، عن أبيه الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى، عن أبيه الإمام عيسى بن محمد عن أبيه الإمام محمد بن علي، عن أبيه الإمام علي العريضي، عن أبيه الإمام جعفر الصادق، وأخيه الإمام موسى الكاظم، عن الإمام محمد الباقر.

عن أبيه الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين، عن أبيه سيدنا الإمام الحسين السبط عن أبيه سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعن أمه فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم أجمعين عن النبي ﷺ عن جبريل الأمين، عن الله سبحانه وتعالى. قال سيدنا القطب الحبيب علي بن محمد الحبشي:

وممن مضى من أهل عصري أئمة أخذت طريق الحق منهم بإسناد

وإذَا قِيلَ لَكَ: الآنَ قَدْ عَرَفْتَ الإيمَانَ وأَرْكَانَهُ، فأَخْبِرْنِي عن الإسْلامِ؟

فَقُلْ: الإسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأَنْ تَشْهَدَ أَنَّ محمَّداً عَبْدهُ وَرَسُولُهُ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ

مسلسلة منهم أسانيد أخذهم إلى خير محمود وأشرف حماد

طريقة رشد قد تلقى الذي لها من السر أمجاد خلائف أمجاد

أب يتلقى عن أبيه وهكذا فيا لك من آباء كرام وأولاد

وقال السيد العلامة أبو بكر بن شهاب الدين:

يروون عن آبائهم عن جدهم عن جبريل عن العزيز الفاطر

واعلم أن الطريقة العلوية كما قال سيدي الوالد: قد جمعت أسرار ما في الطرق الإسلامية، وتميزت بصفاتها السنية لأنها مبنية على مسلك الشاذلية ومن نحا نحوهم في حقائق التجريد والتوحيد وعلى مسلك الغزالي في المجاهدات، ولم يدخلها شيء من التحريف، بل استمر عليها أهلها على تطاول الأعصار يتوارثونها طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا، وقد طال وتسلسل الكلام حتى أخرجنا عما نحن بصدده فلنرجع إلى ما كنا فيه.

(**وإذا قيل لك: الآن قد عرفت الإيمان وأركانه، فأخبرني عن**) حقيقة (**الإسلام**) وهو الانقياد الظاهري. (**فقل: الإسلام أن تشهد**) أي: تقر وتذعن (**أن لا إله**) أي لا معبود بحق في الوجود (**إلا الله وحده لا شريك له**) ولا ند له ولا ضد له (**وأن تشهد**) أي تقر وتذعن (**أن محمدا عبده ورسوله**) الذي أرسله بالهدى ودين الحق إلى كافة الخلق (و) أن (**تقيم الصلاة**) التي فرضها الله عليك أي: تأتي بها بأركانها

وتؤتي الزَّكاةَ، وتصُومَ رَمَضَانَ، وتحجَّ البَيْتَ إنْ اسْتَطعْتَ إليهِ سَبِيلاً، فَهَذه خَمْسَةُ أمورٍ هي أرْكانُ الإسْلام،

فَمَن عَمِلَ بها وصَدَّقَ بها وآمَنَ بالأرْكَانِ السِّتَّة المُتَقدِّمة التي هيَ أرْكَانُ الإيمانِ، فهوَ مُؤمنٌ مُسلم عندَ اللهِ وَمَلائكتِهِ والنَّاس أجْمَعينَ.

وشروطها، وتواظب عليها في أوقاتها، (و) أن (تؤتي الزكاة) أي تؤديها على وجهها الشرعي (و) أن (تصوم رمضان) أي بأن تكف فيه عن جميع المفطرات على الوجه الشرعي.

(و) أن (تحج البيت) أي تقصد بيت الله الحرام للنسك بأفعاله المخصوصة (إن استطعت إليه سبيلا) قال الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[1] والمراد بالاستطاعة وجود الزاد والراحلة ونفقة السفر ذهابا وإيابا وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافر (فهذه خمسة أمور: هي أركان الإسلام).

واعلم أن الإسلام لغة: هو مطلق الامتثال والانقياد، وقد نقل في الشرع إلى الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ.

(فمن عمل بها) على الوجه الشرعي، (وصدق بها وآمن) إيمانا حقا (بالأركان الستة المتقدمة التي هي أركان الإيمان) التي مر بيانها (فهو مؤمن مسلم عند الله وملائكته والناس أجمعين) لأنه جمع بين الانقياد الباطني بالإيمان، والانقياد الظاهري بالإسلام، فهو بذلك مؤمن مسلم ظاهرا وباطنا. والمعنى: فهو مؤمن كامل لأن من أتى بالإيمان والإسلام جميعا فهو مؤمن كامل، ومن تركهما فهو كافر كامل، ومن ترك الإسلام وحده فهو مؤمن ناقص، ومن ترك الإيمان وحده فهو منافق.

---

(١) سورة آل عمران: ٣/٩٧

فإنْ قيلَ لَكَ: هَلْ فَرْقٌ بينَ الإسْلامِ والإيمانِ

فقُل: أمّا شرعاً فَلَيْسَ بينَهُما فَرْقٌ لأنَّ كلَّ وَاحِدٍ مِنْهُما يُحَصِّلُ الآخرَ، لأنَّ اللهَ تَعَالى ذَكَرَ المُسْلِمِ والمُؤْمِنَ فِي مَوْضِعٍ واحِدٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إن كُنْتُم آمَنْتُمْ باللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إنْ كُنْتُم مُسْلمين﴾ وَقَال تَعالى: ﴿فأخْرَجْنَا مَن كَانَ فيها مِنَ المُؤْمنينَ، فَمَا وَجَدْنَا فيها غَيْرَ بَيْت منَ المُسْلمين﴾ وأمّا لُغَةً فَبَيْنَهُما فَرْق مَذْكُورٌ فِي المُطَوَّلاتِ.

(فإن قيل لك: هل فرق) أي تغاير (بين الإسلام والإيمان) أم لا. (فقل: أما شرعا) أي في إطلاق الشرع (فليس بينهما فرق لأن كل واحد منهما يحصل الآخر) تداخلا وترادفا أما التداخل فلما ورد أنه ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل فقال ﷺ: «الإيمان». وأما الترادف فلما روي أنه ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس» وسئل مرة أخرى عن الإيمان فأجاب بالأركان الخمسة المذكورة.

وأيضا (لأن الله تعالى ذكر المسلم والمؤمن في موضع واحد فقال تعالى: إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ وقال تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾) قال أهل العلم: ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد. (وأما لغة فبينهما فرق مذكور في المطولات). ودليل من فرق بينهما قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾[1] إذ المراد بالإسلام في الآية الانقياد الظاهري الذي لم يصحبه تصديق باطني، لأن كفار قريش وعلماء اليهود كان عندهم تصديق باطني بأنه رسول الله ﷺ وأن ما جاء به حق، لكنهم كان عندهم استكبار وعدم استسلام وانقياد،

(١) سورة الحجرات: ١٤/٤٩

وأمّا عَهْدُ إسْلامِكَ الذي كُنْتَ فيهِ مُسْلماً فَهُو يَوْم العَهْد والميثاقِ يَوْمَ أخْرَجَ اللهُ فيهِ أرواحَ بَني آدَمَ ﷺ، ثُمَّ يَسْأَلُهُمْ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فأجابوا جميعاً وقالُوا: بَلَى أَنْتَ رَبُّنَا وَإِلهُنَا وَقَال تَعَالَى: ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيْ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَتهم وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قالُوا: بَلَى شَهِدنَا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافلينَ﴾

فلا ينفعهم ذلك التصديق مع هذا الاستكبار، وهم بعكس المنافقين، لأنهم كانوا مستسلمين ظاهرا يصلون، ويصومون ويفعلون أنواع الطاعات ولكن كان عندهم تكذيب باطني وعدم تصديق فالأولون عندهم إيمان بلا إسلام وهؤلاء عندهم إسلام بلا إيمان ولا ينفع أحدهما بدون الآخر.

واعلم أن للإنسان إحياءات وإماتات ستة، يتطور فيها ويتنقل من حال إلى حال، وهنا لم يذكر المصنف إلا ما وقع للأرواح في الحياة الأولى من الاعتراف بوحدانية الله والإقرار بربوبيته، وذلك قوله:

(**وأما عهد إسلامك**) أي زمانه (**الذي كنت فيه مسلما**) أي مقرا بوحدانية الله وربوبيته (**فهو يوم**) قبض الله القبضتين اللتين قبضهما عند ما مسح على ظهر آدم ﷺ واستخرج منه ذريته لأخذ (**العهد والميثاق**) عليهم، كما بينه المصنف رحمه الله بقوله: (**يوم أخرج الله فيه أرواح بني آدم** ﷺ) من ظهره أمثال الذر.

(**ثم يسألهم**) بعد ما ركب فيهم نوعا من الإدراك والعلم (**ألست بربكم فأجابوا جميعا، وقالوا: بلى أنت ربنا وإلهنا، وقال تعالى**) في بيان ذلك العهد: (﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾)

وفي الحديثِ الصَّحيحِ: «إنَّ اللهَ تَعالى أمَرَ جِبريلَ ﷺ بأنْ يَمْسَحَ ظَهْرَ آدَمَ ﷺ، فَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِه،

فَظَهَرَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ﷺ أرْوَاحٌ كُلُّها مِثْلُ الذَّرِّ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعالَى وَذَلِكَ في السَّماءِ الرَّابِعَةِ، وَقِيلَ: في الجنَّةِ، وقيلَ: في مكَّةَ،

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1] وهل كانت تلك الذرية أجساما أم نفوسا بلا أجسام قال في الدرة الفاخرة: كانوا أحياء نفوسا من غير أجسام.

وقال العلامة ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية: والحق عند أهل السنة إنها يعني الذرية كانت مركبة في أجسام، أي بأن أخرج بعضهم من بعض كما في التفاسير نسلا بعد نسل، كنحو ما يتوالدون كالذرية.

ونصب لهم الدلائل على ربوبيته، وركب فيهم عقلا عرفوا به كما جعل للجبال عقولا حين خوطبوا بقوله تعالى: ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾[2] وكما جعل الله تعالى للبعير عقلا حتى سجد للنبي ﷺ وكذلك للشجر حتى سمعت لأمره وانقادت وكذا النمل حين قالت: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾[3]

(و) ورد (**في الحديث الصحيح: «إن الله تعالى أمر جبريل ﷺ بأن يمسح ظهر آدم ﷺ فمسح ظهره بيمينه فظهر من ظهر آدم ﷺ أرواح كلها مثل الذر بقدرة الله تعالى وذلك في السماء الرابعة وقيل: في الجنة، وقيل في مكة**). قال والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان في شرح قصيدة سيدنا الحداد: أحبتنا بنجد

(١) سورة الأعراف: ١٧٣/٧

(٢) سورة سبأ: ١٠/٣٤

(٣) سورة النمل: ١٨/٢٧

ثمَّ أعْطاهُمُ اللهُ تَعالى العَقْلَ والفَهْمَ، وصوَّرَهُمُ اللهُ تَعالَى وقَال لَهُم: اعْلَموا أنَّه لا إلهَ غَيْري وَأنا رَبُّكُم لا رَبَّ غَيْري، لا تُشْرِكُوا بِي شَيْئاً، فَأنْتَقِمُ مِمَّنْ أشْرَكَ بي وَلَم يُؤْمِنْ بي، وإنّي مُرْسِلٌ إليكُمْ رَسُولاً يُذَكِّرُكم عَهْدي وميثاقي، ومُنَزِّلٌ عليْكُم كِتَاباً، فَلاَ تُكَذِّبُوا رُسُلي وَصَدِّقُوا بِمَا فِي الكُتُب مِنَ الوَعْدِ والوَعيدِ، فَأَقَرُّوا جميعاً بالرُّبوبيَّةِ، وقَالوا: أنْتَ رَبّنَا وإلهُنَا لاَ رَبَّ لنَا غَيْرُكَ وَنَحْنُ عَبيدُكَ، فلمّا أقرُّوا لهُ بالعُبوديَة والوَحْدانيَة على أنْفسهم

والصفيح عند قوله:

بنعمان الأراك وأي أخذ فقل لي عنه بالقول الفصيح

نعمان الأراك واد بجنب عرفة، ذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك﴾[1] الآية: أن موضع أخذ العهد ببطن وادي نعمان وأن الوقوف على هذه المسألة يعسر جدا على غير أهل الكشف.

(ثم أعطاهم الله تعالى العقل والفهم، وصورهم الله تعالى وقال لهم: اعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا رب غيري، لا تشركوا بي شيئا، فأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي.

وإني مرسل إليكم رسولا يذكركم عهدي وميثاقي، ومنزل عليكم كتابا فلا تكذبوا رسلي، وصدقوا بما في الكتب من الوعد والوعيد، فأقروا جميعا بالربوبية وقالوا: أنت ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك ونحن عبيدك.

فلما أقروا له بالعبودية والوحدانية على أنفسهم) إقرارا مناسبا لرتبة وجودهم

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢/٧

كَتَبَ اللهُ إقْرارَهُم في رَقٍّ، وأشْهَدَ المَلائكَةَ على ذلِكَ، ثمّ دَعَا الحَجَرَ الأسْوَدَ، وقَالَ لَهُ: افْتَح فَاكَ والتَقِمِ الرَّقَّ فَلَقَمَهُ فَهُوَ أمينُ اللهِ تَعَالَى فِي الأرْض يَشْهَدُ لَمَن وَفَى بعهدِهِ يَوْمَ القيامةِ ثُمّ إنَّ اللهَ أعَادَ الأرْواحَ كُلَّها إلى صُلْب آدَمَ ﷺ فَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ، حتّى يُولَدُ كُلُّ مَنْ أخذَ ميثاقَهُ،

فأهْلُ القُبُورِ مَحْبوسُونَ، حَتّى يَخْرجَ أهْلُ الميثاقِ كُلهم مِنْ أصْلابِ الرِّجَال وأرْحامِ النِّسَاء، فالمُرادُ بيَوْم العَهْدِ والميثاقِ هُوَ هَذَا اليَوْمُ المَذْكُورُ. والإيمانُ بِهِ وَاجِبٌ، وإنْكَارُهُ كُفْرٌ لأنَّهُ ثَبتَ فِي القُرْآنِ والحَديثِ.

(كتب الله إقرارهم في رق) بالفتح، هو ما يكتب فيه من جلد وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿ في رق منشور﴾[1].

(وأشهد الملائكة على ذلك، ثم دعا الحجر الأسود وقال له: افتح فاك والتقم الرق فلقمه فهو أمين الله تعالى في الأرض، يشهد لمن وفى بعهده يوم القيامة) وذلك معنى قول المستلم للحجر عند الطواف بالبيت العتيق: اللّهم إيمانا بك، ووفاء بعهدك، وتصديقا بكتابك.

(ثم إن الله تعالى أعاد الأرواح كلها إلى صلب آدم ﷺ فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء) وإذا خرجوا كلهم سرى العقم في الرجال والنساء وبعد ذلك تقوم الساعة.

(فالمراد بيوم العهد والميثاق هو هذا اليوم المذكور والإيمان به واجب وإنكاره كفر لأنه ثبت في القرآن والحديث).

---

(١) سورة الطور: ٣/٥٢

وإذا قيل: إنَّ اللهَ تَعالى لمَّا سَألَ الأرْوَاحَ وَقَالَ: ألَسْتُ بِرَبِّكُم فَأجابُوا جميعاً وَقَالُوا بَلَى: أنْتَ رَبُّنَا، وَكُلُّهم آمَنوا ذلِكَ الوَقْتَ، فَيَجِبُ أنْ يكُونَ النَّاسُ كُلُّهم مُسْلِمِينَ، فَلِمَ صَارَ بَعْضُهُمْ يُولَدُ مُسْلماً، وَيَمُوتُ مُسْلماً، وبَعْضُهُمْ يُولَدُ مُسْلماً ويموتُ كافراً، وبَعْضهم يُولَدُ كافراً، ويموتُ مسلماً، وَبعْضُهُم يُولَدُ كَافراً ويمُوتُ كافراً، فأَخْبِرْني مَا السَّبَبُ فِي ذلكَ؟

فَقَدْ قَالَ في كِفَايةِ الإسْلامِ: لمَّا أقرُّوا بالعُبُوديّة والوَحْدانيّة وَآمَنُوا باللهِ تَعالى أَمَرَهُمُ الحقُّ سبحانَهُ وتَعالى بالسُّجُودِ فَسَجَدَ بَعْضُهُمْ والبَعْضُ الآخَر لَمْ يَسْجُدْ،

(وإذا قيل: إن الله تعالى لما سأل الأرواح وقال: ألست بربكم فأجابوا جميعا وقالوا: بلى أنت ربنا، وكلهم آمنوا ذلك الوقت فيجب) لسبق الإقرار منهم بالربوبية **(أن يكون الناس كلهم مسلمين، فلم صار بعضهم يولد مسلما ويموت مسلما، وبعضهم يولد مسلما ويموت كافرا، وبعضهم يولد كافرا ويموت مسلما، وبعضهم يولد كافرا ويموت كافرا، فأخبرني ما السبب في ذلك).**

نقول: السبب أن الأرواح لما اجتمعت أسمعها الباري جل وعلا خطابه الذي لا يكيف، وقال: ألست بربكم فأما أهل السعادة فاستجابوا لربهم مع الفرح والسرور، وهناك ظهر تفاوتهم في الاستجابة واختلاف مراتبهم في المشاهدة.

وأما أهل الشقاوة فإنهم لما سمعوا الخطاب تكدروا وأجابوا كارهين، ثم نفروا نفرة النحل إذا دخن عليه، فحصل لهم ذلة، وانكسفت أنوارهم، وظهر المؤمن من الكافر، قاله في الإبريز. وإن أردت زيادة بيان **(فقد قال في كفاية الإسلام: لما أقروا بالعبودية والوحدانية وآمنوا بالله تعالى أمرهم الحق سبحانه وتعالى بالسجود، فسجد بعضهم، والبعض الآخر لم يسجد.**

فالَّذينَ سَجَدُوا صَارُوا طَائفتيْن، وذَلكَ أنَّهم لمَّا رَفَعَ الَّذين سَجَدُوا رُؤُوسِهُمْ، وَرَأوا مَنْ لَمْ يَسْجُدْ سَجَدَ بَعْضُهُم ثانياً شُكْراً للهِ، وَنَدِمَ بَعْضُهُمْ عَلَى سُجُودِهُم الأوَّل،

وأمَّا الذينَ لمْ يَسْجُدُوا صَارُوا طَائِفَتَيْن طَائفةٌ ندموا عَلَى تَرْكِ السُّجُودِ، وطائفةٌ لَمْ يَنْدَموا عَلَى تَرْكِ السُّجُودِ، فأمَّا الذينَ سَجَدوا أولاً وثانياً فَهُمْ الَّذينَ يُولَدُونَ مُسْلمينَ، وَيَموتونَ مُسْلمينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِنْهم.

وأمَّا الذينَ نَدِمُوا على سُجُودِهُمْ، فَهُمْ الَّذين يُولَدُون مُسْلِمينَ ويَمُوتونَ كَافِرينَ، اللَّهُمَّ لا تَجْعلْنا مِنْهُمْ، وأمَّا الذين لمْ يَسْجُدُوا ولكِنْ نَدِمُوا على تَرْكِ السُّجُودِ، فَهُمْ الَّذين يُولَدُون كَافِرينَ ويَمُوتونَ مُسْلِمينَ، وأمَّا الَّذينَ لمْ يَسْجدوا ولمْ يَنْدَموا فَهُمُ الَّذين يُولَدُونَ كَافِرينَ وَيَموتونَ كَافِرينَ،

فالذين سجدوا صاروا طائفتين، وذلك أنهم لما رفع الذين سجدوا رؤوسهم، ورأوا من لم يسجد سجد بعضهم) سجودا (ثانيا شكرا لله وندم بعضهم) أي بعض الذين سجدوا (على سجودهم الأول، وأما الذين لم يسجدوا) فإنهم (صاروا) كذلك (طائفتين: طائفة ندموا على ترك السجود، وطائفة لم يندموا على ترك السجود) فهذه أربع طوائف.

(فأما الذين سجدوا أولا وثانيا، فهم الذين يولدون مسلمين، ويموتون مسلمين، اللهم اجعلنا منهم. وأما الذين ندموا على سجودهم فهم الذين يولدون مسلمين، ويموتون كافرين، اللهم لا تجعلنا منهم. وأما الذين لم يسجدوا ولكن ندموا على ترك السجود، فهم الذين يولدون كافرين، ويموتون مسلمين. وأما الذين لم يسجدوا ولم يندموا، فهم الذين يولدون كافرين، ويموتون كافرين.

فَلهذا السَّببِ صَارَ النَّاسُ أَرْبعَ طَوَائِفَ. جَعَلنا اللهُ وإيَّاكُمْ مِنَ الذينَ يُولَدُونَ مُسْلِمينَ ويَمُوتونَ مُسْلِمينَ بِبَركةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعين، وجعلنا مِنَ التَّابعين لَهُمْ قَولاً وفِعْلاً آمينَ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ.

فلهذا السبب صار الناس أربع طوائف). وإنما هم في الحقيقة طائفتان فقط: أهل السعادة وأهل الشقاوة، لأن السعيد لا ينقلب شقيا، والشقي لا ينقلب سعيدا، فالشقاوة والسعادة مقدرتان في الأزل لا يتغيران ولا يتبدلان، لأن السعادة هي الموت على الإيمان، باعتبار تعلق علم الله أزلا بذلك.

والشقاوة هي الموت على الكفر بذلك الاعتبار، ولا علم لنا بالسوابق، إنما الخاتمة تدل على السابقة، فمن ختم له بالإيمان دل على أنه في الأزل كان من السعداء، وإن تقدمه كفر، ومن ختم له بالكفر دل على أنه في الأزل كان من الأشقياء، وإن تقدمه إيمان، قال في الزبد:

إن الشقي لشقي الأزل وعكسه السعيد لم يبدل

ويدل على ذلك حديث الصحيحين: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».

(**جعلنا الله وإياكم من**) السعداء (**الذين يولدون مسلمين**) مؤمنين (**ويموتون مسلمين**) مؤمنين (**ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وجعلنا من التابعين لهم قولا وفعلا آمين، والحمد لله رب العالمين**).

إلى هنا ينتهي كلام المصنف، وهو ظاهر لا يحتاج إلى زيادة بيان. وقد اتفق أهل الحقيقة والشريعة من أهل السنة والجماعة على وقوع هذا العهد والميثاق، وأنكره المعتزلة. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

تم تبيض هذه العجالة بعون الله الكريم عشية الخميس ولت من شهر ذي الحجة الحرام، عام ألف وثلاثمئة وسبع وأربعين ببلدة كتنداه من جزيرة أنجزيجة مع كثرة الشواغل، وتلبد الهموم على الفؤاد، والتنقل للتجارة من بلاد إلى بلاد

يوما بجزوى ويوما بالعقيق وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء

والله أسأل وهو أكرم الأكرمين أن يتقبلها مني، وينفعني بها، ويرحمني برحمته، ويجعلني من عباده الصالحين وأن يختم لي بالحسنى، ويبلغني بفضله المقام الأسنى. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،

والحمد لله رب

العالمين.

المحتويات

مقدمة الناشر..... أ

ترجمة المؤلفين..... أ

مقدمة الشارح..... ٩

الكلام على البسملة والحمدلة..... ١٠

الكلام على الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ..... ١٢

يجب على العبد أن يعرف الإيمان والإسلام..... ١٣

لا خلاف بين أهل الإسلام في وجوب معرفة الله سبحانه وتعالى..... ١٤

يجب على كل مكلف أن يعرف أولا أنه مخلوق..... ١٥

من لم يعرف الإيمان والإسلام لا يقال له: إنه مؤمن..... ١٧

معنى الإيمان وأركانه..... ١٨

معنى الإيمان بالله سبحانه وتعالى..... ١٩

ما معنى الإيمان بالملائكة..... ٢١

أفضل الملائكة..... ٢٣

أصناف الملائكة كثيرة / ما معنى الإيمان بكتب الله..... ٢٤

فائدة في الفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي..... ٢٥

ما معنى الإيمان بالرسل..... ٢٦

كم عدد الأنبياء والرسل..... ٣٠

الرسول أفضل من النبي..... ٣٢

نسبه ﷺ من جهة أبيه ومن جهة أمه / عدد أولاده..... ٣٤

عدد أزواجه اللاتي توفي عنهن / مرضعاته / أطوارحياته..... ٣٥
كان قومه ﷺ على بقايا من دين أبيهم إبراهيم ﷺ..... ٣٧
إن الله أحيا له أبويه..... ٣٨
ما معنى الإيمان باليوم الآخر وما يشمل عليه..... ٤٠
ما معنى الإيمان بالقدر..... ٤١
هل للعبد اختيار في الفعل والترك..... ٤٤
سلسلة شيوخ الشارح..... ٤٦
معنى الإسلام وأركانه..... ٤٨
هل فرق بين الإسلام والإيمان..... ٥٠
أخذ الله العهد والميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره..... ٥١
سؤال الله الأرواح..... ٥٥
الخاتمة..... ٥٨
المحتويات..... ٥٩